

فهم عبادة الذين يستمعون القول فينبغون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

الخطبة الأولى

١٣١٥

بؤني الحكمة من بؤناه ومن بؤن الحكمة فبؤني
خبيرا كبيرا وما يكسر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كشار الطريق

(مصر - الأحد ٣٠ رمضان ١٣٢٦ - ٢٥ أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٠٨)

الخطبة الأولى

﴿ من خطبنا الإسلامية في الديار السورية ﴾

أقيناها على منبر جامع المجيدية في بيروت بعد صلاة العصر وصلاة جنازة الغائب
على المصلحين الكرام السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده المصري
وعبدالرحمن افندي الكواكي السوري وذلك في يوم الخميس ٢٨ من شهر شعبان
وقد تلخص هذه الخطبة بمعض من حصرها من الأدباء بما يأتي مع تصحيح وتوضيح:

السلام عليكم ورحمة الله

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله ، والصلاة
والسلام على رسول الله ، وآله وصحبه ومن والاه ، و بعد فان الاسلام دين سهل
سائق موافق للفطرة البشرية ، قام به أهله عند ظهوره خير قيام ، وليس لهم كتاب
غير القرآن ، ولم يكن القرآن في أول الأمر مصحفا مجموعا كما هو الآن ، وانما كتبت

٦٤٢ تأثير الاسلام اول ظهوره . اعراض اهله عنه . كونه عاما (المتارج ١١م٩)

آياته على الجلود والعظام وسعف النخل ، ثم جمعت في مصحف واحد باجماع الصحابة ، فالاسلام هو هذا الكتاب الحكيم ، وما بينه من سنة النبي الكريم ، صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى (وأنزلنا إليك الذكرتين للناس ما نزل اليهم)

إني سائلكم : أهذا هو الاسلام الذي غير وجه الأرض ، وتقل البشر من طور إلى طور ، ؛ نعم إنه هو ، ولو أخذته اليوم طائفة من المسلمين بقوة كما أخذته الأيون اغبرت وجه البسيطة مرة ثانية كما غيره سلفها من قبل ، ولست أعلم لماذا رغب المسلمون عن القرآن وذهبوا يؤثفون الكتب الكثيرة في الدين وقد رأينا ان الاشتغال بهذه الكتب مع الاعراض عن القرآن ما زاد الاسلام إلا ضعفا ، والمسلمين إلا خسفا .

أنزل الله دينه على نبيه (ص) فعمل به أولئك الأميون من عرب الجاهلية وهم على ما تعلمون من الفرق والتعادي والفساد ، فعلمهم الاسلام وهدبهم وأخرجهم من الظلمات إلى النور كما قال تعالى (هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين) من المعلوم في طبائع البشر انه لا يتربي ويتزكى بعد الكبر الا أفراد قلائل من أصحاب الاستعداد العالي ، لان الاخلاق متى رسخت في النفس قلما تتغير ولكن أولئك الصحابة الذين غيروا وجه الأرض قد تربوا بعد الكبر تلك التربية التي كانوا بها أئمة وكانوا هم الوارثين .

نشأوا يعبدون الاصنام ، ويتدون البنات ، ويستحلون السلب والنهب ، الا انه كان فيهم استعداد لهذا الانسلاخ الذي ساقه الله اليهم : كان فيهم ذكاء عقل واستقلال فكر وقوة إرادة ، فلما فهموا الاسلام قبلوه وأيدوه ونصروه ، وحملوه الى غيرهم ونشروه .

إن الاسلام دين عام لجميع البشر ، ليس خاصا بمن ظهر فيهم أولا من العرب ، ولكن لماذا ظهر هذا الدين الحكيم في تلك الامة الجاهلية ، ولم يكن بدء ظهوره في أمة من أمم الدنيا كالمصريين والروم ، واليونانيين والفرس ؛ السبب في ذلك

عظيم جدا يتعلق بالاستعداد وهو ما كانت عليه العرب من سذاجة الفطرة واستقلال الفكر والإرادة

كانت الأديان والحكومات بما طرأ عليها من الفساد قبل الإسلام قد أضعفت استعداد تلك الأمم بما طبقتهم على التقليد والخضوع والخنوع لرؤسائهم ، والجمود على تقاليدهم وعاداتهم ، فإذا دعي أحدهم إلى إصلاح جديد قال من فوره : إن هذا يخالف ما وجدنا عليه آباءنا فإن لم يمنعه من الاستجابة التقليد لسلفه في الدين ، منعه ما طبع عليه من العبودية لحكامه الظالمين ، وأما العرب فلم يكن لهم من العلوم والمعارف الدينية وغير الدينية ما يحقر في أنفسهم ما يلقى اليهم من دين أو علم جديد ، ولم يكن لهم من الحكم المستبدين من يفسد عليهم بأسهم ، ويذهب بعزيمتهم ، بل أعدهم لذلك بطبيعة البدوة وسذاجة الفطرة ، فجعلهم من أهل الشجاعة التي هي مظهر استقلال الإرادة ، والحرية التي هي مظهر استقلال الفكر ، فكان فيهم كثيرون إذا دعوا إلى الحق والخير قهروا الدعوة ، وإذا اعتقدوا الشيء قاموا ودافعوا عنه بالقوة ، لذلك أنزل الله عليهم كتابه ، وبعث فيهم رسوله ، فاستجاب له من سمع ووعى وقالوا إنا نؤمنك (أي نصيبك) مما تمنع منه أنفسنا وأهلنا ، وقام الإسلام بهم خير قيام ، حتى كان من أمره وأمرهم ما كان ،

هذه مقدمة يمكثي أن أبين بعدها ماهي حقيقة الإسلام ليعلم غير العالم من الحاضرين ويتذكر أولو العلم منهم أن المسلمين يسهل عليهم اليوم أن يعرفوا دينهم ويهتدوا به من غير حاجة إلى مدارس تدرس فيها الكتب الكثيرة

الإسلام أمر سهل جدا وهو عبارة عن الرجوع إلى الفطرة البشرية ، وما هي الفطرة البشرية ؟ هو ما انطوت عليه نفسك من الإذعان للسلطة الغيبية واختيار ما تعتقد أنه الخير والمصلحة قال تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون) إلا أن الفطرة بعرض لها الفساد بالجهل وسوء القدوة فإذا ذكر صاحبها آيات الله فاهتدى بها رجعت إلى أصلها (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) فحصل مقصد الإسلام وحينئذ يجد المسلمون سعة في الوقت لتحصيل

ما يحتاجون إليه من العلوم والفنون وما يترتب عليها من الاعمال والصناعات التي تقوى بها أمتهم وتعز دولتهم

فإننا ان الاهتداء بالاسلام لا يتوقف على درس الكتب الكثيرة ، والاعمال التي تستغرق الأوقات ، وذلك ان الاسلام مبني على ثلاثة أسس : (الاول) إصلاح العقل بالعبقة المطهرة للجان ، المبني على البرهان (الثاني) إصلاح النفس بتزكيتها وتطهيرها من الرذائل ، وتحليتها بالفضائل (الثالث) إصلاح الاعمال من العبادات والحقوق التي يستقيم بها أمر الافراد وترتقي الهمة الاجتماعية

الاساس الاول ينبي عليه الإيمان بوجود الله تعالى ووحدانيته ومعناها انه سبحانه وتعالى هو المتفرد بالسلطة الغيبية العليا التي تلجأ اليها النفوس عند العجز عن الأسباب والسنن ، فلا ينفع غيره ولا يضر سواه الا ما يتعامل به الناس بالاسباب التي سخرها الله لهم بحكمته ، وأقدرهم عليها بمشيئته ، وانه منزه عما لا يليق به من صفات الحوادث وما يلزم بالبشر وغيرهم من النقص ، وانه هو المتفرد بشرع الدين والتحليل والتحرير . ويتلو ذلك تصديق الانبياء فيما جاؤا به من الوحي والإيمان بعالم الغيب من الملائكة والجزء على الاعمال التي تزكي النفس فترفعها الى عليين ، أو تدسبها فتقيها في أسفل سافلين ، فهذه العبقة تصلح العقل باطلاقة من العبودية لبعض البشر او المظاهر الطبيعية وهي الوثنية التي أفسدت عقول الاوان ، والخضوع الاعمى لارؤساء المسيطرين ، وكل ذلك ميين في القرآن أكل تبين ، مؤيد بالدلائل والبراهين

الاساس الثاني ينبي عليه تزكية النفس من الاخلاق الذميمة ، وتحليتها بالاخلاق الحسنة ، واذا تهذبت اخلاق الناس صلح أمرهم ، واستقام نظامهم ، وقد فصل لنا القرآن ما يحتاج اليه من ذلك تفصيلا

الاساس الثالث تبني عليه العبادات والآداب العملية ، وقد بين القرآن ذلك بالاجمال ووكل بيانه بالتفصيل الى النبي (ص) فكان يعلمه الناس بالعمل وعبر عن ذلك بقوله « صلوا كما رأيتموني أصلي » وكذلك كان الصحابة يعلمون من دخلوا في الاسلام على أيديهم فلم يقل احد انه كان لهم في الشام ومصر وفارس كتب يعلمون بها الناس دينهم عند ما كانوا يدخلون في الاسلام . ولكن المسلمين دونوا عبادتهم

في الكتب واكثرها فيها من الاقسام والفروع والاصطلاحات حتى وصلنا الى ازمة صارت فيه هذه الكتب صعبة لا يتيسر للاكثرين درسها وتعلمها، كما ان السواد الاعظم وصارت دراستها محصورة في فئة تستفيد منها في دنياها كمر يدي القضاء والفتيا والتدريس . على انهم على طول مزاولتها لا يستفنون عن اخذها بالعمل فقد حدثني أحد كبار العلماء انه قرأ كتاب الحج مرارا كثيرة ولا أراد ان يخرج لم يستغن عن المطوفين الذين يعطون العوام مناسكهم بالعمل . وتعلم العبادات بالعمل سهل جدا وما لا بد فيه من القول يمكن ان يقال في مجلس واحد ، وقد كان النبي (ص) يعلم الاعرابي دينه في مجلس واحد ، فاذا عاهده على العمل به رضي منه وقال « اقلح الاعرابي ان صدق »

التاريخ يخبرنا بان الاسلام انتشر في مدة قليلة في ممالك كثيرة لسهولته ، وآية سهولة على المرء اسهل عليه من مجارة فطرته وتقويم ما يعرض لها من العوج . فالاسلام يدعوكم الى ما في فطرتكم من الميل الى اختيار ما فيه الخير والمصلحة ، ولذلك يرشدنا الى التذكر في مواطن كثيرة من مواطن هدايته فيقول (اعلمكم تذكرون - لقوم يتذكرون - وما يتذكرون الا من ينيب) وانما يتذكر الانسان ما كان يعلمه ثم نسيه او غفل عنه ، فكأنه يرشدنا بذلك الى ان ما يدعوننا اليه من الخير هو مما اودع في فطرتنا ثم غفلنا عنه بسوء القدوة وفساد التربية - فدين الاسلام اسهل الاديان لاجراجه فيه ولا مشقة (ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون * يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) فاذا كان على سهولته ويسره كافلا لسعادة الدنيا والآخرة فأي عذر لنا اذا أهملناه وتركنا هدايته ؟ (ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه) يرضى بان يكون كالدواب لا يهتما الا علفها او كالكلاب العاقرة ينهش بعضها بعضا

ربما يعترض بعض الناس على ما اقول من ان تلقين الدين لا يشغلنا عن تعلم العلوم والفنون الدنيوية التي هي مبادئ الصناعات التي تعززها الامة وتقوى الدولة حتى تكون في مصاف الدول الكبرى ، لانهم يزعمون ان الدين ينهانا عن ذلك ولولم يوجد فيها امثال هؤلاء لما وصلنا الى ما نحن عليه الآن من الضعف والاضططاط في الثروة والقوة

نحن اليوم في حالة لا نخفي على أمثالكم . صرنا وراء جميع الأمم والذنب في ذلك علينا لا على الاسلام . فالاسلام لم يجن علينا وإنما نحن جنينا عليه وعلى أنفسنا إذ جعلنا بيننا وبين القرآن حجبا كثيفة فأعرضنا عنه وعن العلوم التي تحتفظ بها

بيضنا

كانت العلوم الرياضية والطبيعية عند ظهور الاسلام مندرسة ليس لها سوق نافذة عند أمة من الأمم فأحياها المسلمون عند ما ظهر الاسلام ونفذت شوكتها . ومن العجب أن الجامدين الذين بحرمونها اليوم يسترفقون بأن أولئك الاساطين الذين درسوها من حياتنا هم خيرة علمائنا !

الانقلاب العثماني *

﴿ تركيا الفتاة ﴾

الفرق بين الانقلاب والثورة

الانقلاب في اصطلاح المؤرخين تفسير مهم في حكومة الدولة وقلب في قوانينها، وهو غير الثورة التي بمعنى المصيان والخروج عن الطاعة والقيام على الحكومة المشروعة، والفرق بين الانقلاب والثورة كبير، فان الثورة كثيرا ما تضر بمنافع الأمة ومصالحها وتصددها عن السير في طريق النجاح، بخلاف الانقلاب فإنه مها آلم الأمة ورضضها فهو يخطو بها خطوة في التقدم، ويصعد بها درجة في سلم

(* رسالة حفيلة جليلة ألها صديقنا محمد روجي افندي الخالدي المقدسي من أرباب الاقلام المشهورين باستقلال الفكر واصالة الرأي وهو مؤلف كتاب « تاريخ علم الادب عند الافرنج والعرب » وكان وقت كتابتها في « بردو » إحدى المواني الفرنسية وقد رأينا ان أحسن تقرنظ لها نشرها في المنار لأنها أصدق تاريخ لاعظم انقلاب